مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد02 2023/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المعتقد الديني بين الادب الشعبي والانثروبولوجيا

الأميرة مباركة بنت الخص أنموذجا

Religiousbeliefbetween folk literature and anthropology Princess Mubarakabint al-Khas as a model

د. عبد الرحمن بوترعة*

المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة

boutera@cuniv-naama.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/06 تاريخ القبول: 2022/02/18

ملخص:

أصبح الحديث عن الأنثروبولوجيا أو التراث الشعبي ضرورة وطنية ملحة في خضم الصراعات الثقافية والحضارية التي تعيشها الشعوب والمجتمعات .فالتراث الشعبي وما يزخر به من قيم قد يشكل القيمة الثابتة والسلاح القوي من أجل الدفاع عن مقومات وحدته:كهوية الشعب وثقافته وله حضارته في مواجهة ثقافة العولمة التي تريد تعرية الشعوب والقضاء على هوية انتمائها وتفكيكها حتى وتتركها في مهب الإعصار فتتجاذبهاالعواصف،و لقد فتح هذا العهد الجديد المجال واسعاً لإعادة القراءةللكثير من القضايا الفكرية وحتى السياسية بمناهج ما بعد الحداثة،ومنه اهتم الأنثروبولوجيون الجزائريون خاصة الشباب الأكاديميبالتراث، و وجددوا نظرتهم له ، حيث اكتشفوا فيه مادة خصبة لإبراز ثقافة الشعب الجزائري ماضياً وحاضراً، فحرروه من تلك الأوصاف، كما حرروه من تلك العملية التحنيطية التي أرادها له البعض حين جعلوا منه مادة خاماً للمتاحف، تُعرض للسياح الأجانب، وكأن ثقافة الشعب لا قيمة لها، فهي إما ميتة أو هي غنية من حيث العنصر العجيب والغريب والسحر والفرجة. ولقد حرر علم الانثروبولوجيا البحث في مادة التراث الشعبي وارتقى به إلى المستوى العلمي الرفيع الذي يتناسب وقيمته. فالتراث الشعبي هو كيان الشعب وشخصيته

* **المؤلف المرسل**: عبد الرحمن بوترعة، **الايميل**: boutera@cuniv-naama.dz

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وهويته وتاريخه. فقد وجبتصيانته: فما هو التراث وما هي الانثروبولوجيا وما تجلياتهما في هذا الموروث الإنساني الإجناسي الأدبي.

الكلمات المفتاحية: التراث- الأنثروبولوجي-الحكاية الشعبية- الأميرة مباركة بنت الخص-الإجناسي الأدبي.

Abstract:

Became the talk of anthropology or folklore has become an urgent national necessity in the midst of the cultural and civilizational conflicts experienced by peoples and societies. The folklore and the values it abounds in may constitute the fixed value and the powerful weapon in order to defend the elements of its unity: such as the identity of the people, their culture and their civilization in the face of the culture of globalization that wants to strip peoples and eliminate the identity of their belonging and dismantling them until they leave them in the blow of the hurricane, and they are attracted by storms،This new era has opened a wide scope for re-reading many intellectual and even political issues with postmodern curricula, and from it the Algerian anthropologists, especially the academic youth, were interested in heritage, and renewed their view of it, as they discovered in it a fertile material to highlight the culture of the Algerian people, past and present, so they freed them from those The descriptions, as they freed him from that mummification process that some wanted him to have when they made him a raw material for museums, to be presented to foreign tourists, as if the people's culture has no value, as it is either dead or rich in terms of the strange and strange element, magic and spectacle.. Anthropology has edited the research on folklore and elevated it to a high scientific level that is commensurate with its value. Folklore is the people's entity, personality, identity and history. It had to be preserved:

what is heritage, what is anthropology, and what are their manifestations in this ethno-literary human heritage,?

key words:

Heritage - Anthropology - Folktale - Princess Mubarakabint al-Khas this ethno-literary human heritage,

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن تعدد الاتجاهاتفي تناول الانثروبولوجيا، واطرادما يكتب عن هذا العلم خاصة في الآونةالأخيرة، لخير دليل على حداثتهِ، بالرغم من مرور ما يقرب عن مئة وعشرين عاماً تقريباً على نشأته الرسمية إن صح هذا التعبير، ومع هذا لا يزال يصنع تاريخه واستمرار يته ،ويطرح للمتلقين مفاهيم ومصطلحات تريك آفاق فهمهم،مما فرض التعريف بالتراث في دراستنا.

ما معنى التراث تعريفه وما هيأنواعه :

1- التراث لغة:

جاء في لسان العرب:ورث؛ورث: الْوَارِثُ: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – ، وَهُوَ الْبَاقِي الدَّائِمُ الَّذِي يَرِثُ الْخَلَائِقَ ، وَيَبْقَى بَعْدَ فِنَائِهِمْ ، وَاللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ أَيْ يَبْقَى بَعْدَ فَنَاءِ الْكُلِّ ، وَيَفْنَى مَنْ سِوَاهُ فَيَرْجِعُ مَا كَ انَ مِلْكَ الْعِبَادِ إِلَيْهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ, قَالَ ثَعْلَبٌ: يُقَالُ إِنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ إِنْسَانٌ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ ، فَإِذَا لَمْ يَدْخُلْهُ هُوَ وَرِثَهُ غَيْرُهُ, قَالَ: وَهَذَا قَوْلٌ ضَعِ يفٌ. وَرِثَهُ مَالَهُ وَمَجْدَهُ وَوَرِثَهُ عَنْهُ وِرْثًا وَرِثَةً وَوِرَاثَةً وَإِرَاثَةً. أَبُو زَيْدٍ: وَرِثَ فُلَانٌ أَبَاهُ يَرِثُهُ وِرَاثَةً وَمِيرَاثًا وَمَيْرَاثًا وقال ابت لْأَعْرَابِيّ: الْوِرْثُ وَالْوَرْثُ وَالْإِرْثُ وَالْوِرَاثُ وَالْإِرَاثُ وَالتُّرَاثُ وَاحِدٌ. الْجَوْهَرِيُّ: الْمِيرَاثُ أَصْلُهُ مِوْرَاثٌ ، انْقَلَبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِكَسْرَةِ مَا قَبْلَهَا ، وَالتُّرَاثُ أَصْلُ التَّاءَ فِيهِ وَاوٌ. ابْنُ سِيدَهْ: وَالْوِرْثُ وَالتُّرَاثُ وَالْمِيرَاثُ: مَا وُرِثَ, وَقِيلَ: الْوِرْثُ وَالْمِيرَاثُ فِي الْمَالِ وَالْإِرْثُ فِي الحسب. (ابن منظور ، 2007ص364)

معنى ورث**في مختار الصحاح:**

وَرِثَ) أَبَاهُ وَ (وَرِثَ) الشَّيْءَ مِنْ أَبِيهِ (يَرِثُهُ) بِكَسْرِ الرَّاءِ فِيهِمَا.)وِرْثًا) وَ (وِرْثَةً) وَ (وِرَاثَةً) بِكَسْرِ الْوَاوِ فِي الثَّلَاثَةِ .

وَ (إِرْثًا) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ. وَ (أَوْرَثَهُ) أَبُوهُ الشَّيْءَ وَ)وَرَّثَهُ) إِيَّاهُ. وَ (وَرَّثَ) فُلَانٌ فُلَانًا (تَوْرِيثًا (أَدْخَلَهُ فِي مَالِهِ عَلَى وَرَثَتِهِ".(مختار الصحاح طبعة المكتبة العصرية – -بيروت، 1999م م14)

وقال الله تعالى إخباراً عن زكريا ودعاءه إياه (كهيعص [1]ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا [2]إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا [3]قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا [4]وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5)يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)(سورة مريم: الآيات 1-5).

أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي ويقال (ورثه الشيء أبوه) أو (ورثه بعضا عن بعض قدما) أو ورثه (كابراً عن كابر) وروي عن النبي محمد (ص) أنه قال (اثبتوا على مشاعركم هذه، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم).(يزيد بن شيبان ، **الصفحة أو الرقم3/521 :**

2- التراث في الاصطلاح:

التراث:بمفهومه البسيط هو خلاصة ما خلَفته (ورثته) الأجيال السالفة للأجيال الحاليةالتراث هو ما خلفه الكبار لكي يكون عبرةً من الماضي ونهجاً يستقي منه الأبناء الدروس ليَعبُروا بها من الحاضر إلى المستقبل ... .التراث الشعبي عادات الناس وتقاليدهم وما يعبرون عنه من آراء وأفكار ومشاعر يتناقلونها جيلاً عن جيل. عرّف التراث (بالإنجليزية(Heritageعلى أنّه مجموعة من الموروثات التي تم نقلها من الجيل السابق –الآباء والأجداد– إلى الجيل الحالي، وتتعدد هذه الموروثات بين موروثات مادّية مثل الأدوات والمعدّات وطريقة صناعتها، ومعنوية مثل العادات والتقاليد المعمول بها، ومن دون التراث فإنه لن يكون تواجدَهاا للحضارة التي تميّز الشعوب عن بعضها البعض وتعطي لها كيانها، ويحفظ وارثيه من الضياع والتشرّد في حال التعرّض للتهديدات، والضغوطات السياسية مثل الحروب التي تشرّد الأفراد والجماعات عن بعضهم البعض.

و لكي تكون للغة العربية كلمة مرادفة لـ(الفلكلور) قررت الأمانة العامة لمجمع اللغة العربية وضع (كلمة تراث) بدل كلمة (فولكلور) الانكليزية.

على اعتبار أن كلمة (تراث) تشمل ما تركه الأوائل من مؤلفات لغوية وفروعها والعلوم منها الطبية والفلكية والصناعية وغيرها وأبنية وقلاع وفنون من رسم وغيرها وكلها تشملها كلمة (تراث) وكان لا بد هنا من تحديد كلمة خاصة مرادفة لـ(الفلكلور) وفرزها عن التراث الحضاري أو التراث القومي ووضعت تحديداً كلمة (التراث الشعبي) فأينما تجد (فولكلور) فهو إذاً (التراث الشعبي) والعكس صحيح.

و لا يوجد هناك تعريف خاص بالتراث ولكن هناك تعريفات كثيرة عن علماء وكتاب التراث وبخاصة التعريف الذي قدمه ويندل *فيليبس* ستافورد((Wendell Phillips Stafford (- 1861-)و1953))

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وهو أحد علماء الآثار *والتراث* حيث يقول::«إن التراث عبارة عن استمرارية ثقافية على نطاق واسع في مجالي الزمان والمكان تتحدد على أساس التشكيلات المستمرة في الثقافة "الكلية" وهي تشمل فترة زمنية طويلة نسبياً وحيزاً مكانياً متفاوتاً نوعياً ولكنه متميز بيئيا»

يرى العالم الأمريكي**ميلفيل**: (**هيرسكوفيتس**HerskovitsJeanMelville) عالم الفولكلور الشهير (1895 ـ 1963) أن التراث مرادف للثقافة، أي أنه جزء مهم من ثقافة الشعوب وليس منفصلا عنهأما ماك جريجور ـ فهو يعرف التراث بأنه من الخصائص البشرية العميقة الجذور التي تتناقل من جيل الى آخر. في حين يرى جوجن بأنه أسلوب متميز من أساليب الحياة، كما ينعكس في مختلف جوانب الثقافة وربما يمتد خلال فترة زمنية معينة وتظهر عليه التغييرات الثقافية الداخلية العادية ولكنه يتميز طوال تلك الفترة بوحدة أساسية مستمرة.

أنواع التراث وأشكاله

1. **التراث الحضاري**: وهو يشمل ما خلفه لنا الأسلاف من تراث حضاري قديم مثل الآثار بكل أنواعها ويشمل التراث البابلي والسومري والآشوري بكل عاداتها: من مسكوكة وجرار وأوانٍ ورسوم ونقوش.. وهو ما يسمى بـ(الآثار القديمة).

2. التراث القومي: وهو التراث الذي يشمل فترة الزمنية الذي ظهر فيه القوميات أشكالها كافة وأخذت لها نظاماً معيناً وحافظت عليه وظهرت على أثرها الأمم والقوميات واعتزت بتراثها وعلمائها من مفكرين وشعراء ومغنين وأطباء، حيث ظهرت في الفترة القوميات الرومانية والفارسية والإغريقية والعربية واتخذت لها أشكال القومية المستقلة لغة وأرضا وشعباً وعليها بني التاريخ الحديث لكل أمة.

3. التراث الشعبي: وهو مكمل للنوعين الأوليين الحضاري والقومي، حيث أصبحت لكل مجموعة أو بيئة صفاتها التي تتميز بها من عادات وتقاليد وصناعات وملابس.. الخ.
ولكن علماء الاجتماع (الانتربولوجيا) كانوا أكثر دقة وعلمية، حيث قسموا التراث الى فروع وأقسام لتأخذ حصتها من الدراسة الدقيقة جدا..

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مثلا ذكرر العالم اريكسون أنواعاأربعة للتراث.

أنواع التراث . حسب تصنيف اريكسون:

1. **التراث الاجتماعي:** وهو التراث والذي يمثل الحياة المباشرة ،على مستوى أفقي ممتد مع الحياة بأشكالها كافة.

2. **التراث (النشأوي):** ويعد مكملاً للتراث الاجتماعي ويتضمن عليه النقل من جيل إلى آخر أو من مرحلة الى أخرى وهذا النوع من التراث في تفاعل مباشر مع التراث الاجتماعي.

3. التراث المادي: ويتضمن جميع المنتجات الثقافية المخزونة.

4. التراث الأدبي: يعتبر من المميزات الخاصة للتراث المادي وظهر مرتبطاً بفن الكتابة. وهناك تشعبات كثيرة في التراث، منها التراث غير المادي وتدخل ضمنها الرقصات وأغاني ترقيصالأطفال، والتراث الثقافي يدخل من ضمنها كل تراث الثقافات من أغانٍ وأشعار وقصص أو أساطير أو ملاحم وغيرها، إلا أنها تؤكد حقيقة واحدة واضحة وضوح الشمس المشرقة، وهي أن التراث ليس أدباً قديماً وليس مؤلفات الأجداد فقط، بل إن التراث يعيش في ثقافة الشعب ككل متكامل، وأن الجزء الأكبر من التراث يعيش في الحياة الشعبية Folklore والتي لها ثقافة مميزة هي الثقافة الشعبية (Culture) تمييزا لها عن الثقافة الرسمية الموضوعة (المكتوبة) مثل القصص القصيرة والروايات التي وضعها الأدباء المحدثون.

مصادر التراث:

إن ما خلفه الأقدمون من مصادر مكتوبة هي أهم مجال لدراسة الباحث عن التراث، يليها كتب الرحالة العرب والأجانب والمستشرقون والوثائق والمخطوطات كلها تعطي صورة متكاملة لمختلف جوانب الحياة التي اندثرت،لكن حياة البشر اليومية أمر لا يمكن إغفاله، فقد انتقلت للثقافة المعاصرة، كل تجارب المجتمعات السابقة ويميل بعض الباحثين إلى اعتبار التراث ظاهرة ثقافية توقفت عن التطور وكانت مرتبطة بمرحلة تاريخية معينة.

وخلاصة القول إن الدارسين للتراث يحصرون اهتمامهم في المصادر المكتوبة وذلك في العالم العربي بشكل خاص، وعلينا أن لا نغفل دور علماء العرب الأقدمين أمثال الجاحظ الذي كتب عن حياة العامة في عصره

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وعن المكدين والشحاذين والصعاليك عام (159هـ . 255هـ) وكتاب البخلاء خير شاهد على ذلك وكذلك عبدالله بن المقفع 142 - 106)هـ بكتابه (كليلة ودمنة) وكتاب الأغانيلأبي الفرج الأصفهاني (284هـ/ 356 هـ) وكذلك الفارابي (260هـ/339هـ)بكتابه«صناعة علم الموسيقى» وابن خلدون(808-784هـ) بمقدمته المعروفة. وأخيرا الأب انستاس ماري الكرملي الذي توفي عام 1947وخير جامع للأساطير والحكايات الشعبيةومن أهم كتبه المطبوعة: أغلاط اللغويين الأقدمين، ونشر في بغداد سنة 1932م، وكتاب (نشوء اللغة العربيةونموها واكتهالها)، ونشر في القاهرة سنة 1938 ، ومحقق عددا من الكتب من بينها معجم العين للخليل بن أحمد، لكنه لم يكمله بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى، ونخب الذخائر في أحوال الجواهرلابن الأكفاني، والإكليللهمداني.

إذا تمعنا في تاريخ الدراسات الإنسانية، في بلدان العالم أجمع أن هناك اتجاهين، بل طريقتين للعمل الميداني لجمع الفولكلور من الحياة الشعبية وإعدادها للدراسة بعد انتهاء عملية المسح الفولكلوري للمنطقة التي يراد منها جمع الفولكلور.

1. طريقة المراسلين: وهو قيام أفراد المنطقة المقيمون بها ومن أهلها وسكانها في القرى والبوادي من مثقفين ومتعلمين ومن هواة الفولكلور يمكن الاستعانة بهم واللجوء إليهم في جمع المادة الفولكلورية.

2. طريقة المسوحات الميدانية: وهي قيام باحثين متخصصين كل في مجاله، مثلاً المتخصص بالصناعات الشعبية أو الأزياء أو الموسيقى والغناء والرقص أو الآلات الشعبية الموسيقية، وهؤلاء مؤهلون نظرياً وعملياً لجمع المادة وفق أسس علم الفولكلور وهم أساساً مدربون على ذلك.

وقد أصبحت الطريقة الثانية هي الأكثر شيوعاً، خصوصاً بعد أن انتشرت مراكز الدوائر المتخصصة بالفولكلور وأصبحت لها مؤسسات علمية فعالة، وعلى الباحث الميداني أن يعد نفسه إعدادا جيداً لذلك، ونعني الإعداد العلمي والثقافي،التراثالشعبي مادة حية صادرة عن الشعب،يعبر من خلالهاعن مشاعره وعاداتهوتقاليده بشكل عفوي،كما أنه ليس محصلة عصر واحد،أو مجردآثار ومخلفات متحجرة نتجت عن الماضي، وإنما قاومت مرور العصور واستمرتعلى الرغم من كل التغييرات التي مستها،فهو التاريخ الحقيقي الذي يصور لنا أحداث الحياة الإنسانيةمن خلال الأغاني،والقصص الشعبية،والسير والملاحم وهذا ما يبرز أنجذوره ضاربة في أعماق الجماهير.."(.إنه يعكس بصورة جلية حياة الجماهير الواسعةوأحاسيسها وأمانيها

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التي تعبر عنها بحكاياتها ورقصاتها، وأغانيهافكما أن للفنبصورة عامة وبأشكاله الأدبية والمسرحية والتعبيرية، وظيفتهاالاجتماعية، فإن للتراث الشعبي نفس الوظيفة ونفس الغاية) .(هارون سليمان يوسف2016)ص20

وبما أن الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة الإنسان،فلا بد من التطرق إلى ظواهره الثقافية،وبيئتهوهذا مايدفعنا إلى ضرورة التعرف على تراثه الشعبي الذي يعد قاعدة وبنية تحتية يرتكز عليها فكره،كما أنالتراثيؤدي دورا بالغ الأهمية يتمثل في تصوير همومالإنسانومعاناته من القهر والاضطهاد،والألم،والظلم،والنقصان فتتجسد كل هذه المشاكل في الأمثال،الحكايات،الشعر الشعبي ...التي تتناقل شفاهامن جيل إلى جيلوأهم ميزة يتسم بها التراث الشعبي هو ملازمته للحياة الجمعية «فالتراثملازم للحياة الجمعية،بما يعنيه التراث من تعبير الأفراد عن وجودهم في جماعة،ومن تعبيرالجماعة عن حضورها في الكون،ولايقتصر إذا على الأشكال الشعبية والمضمون اب الأسطورية، بل هو واقع فكر يحي يوفر غذاء العلاقات الجمعية ولايعد له أمر من أمور الحياة الاجتماعية في تثبيت الهوية والتلاحم الشعبي) لطفي الخوري، أهمية دراسة التراث الشعبي.

وتتنوع أشكال التراثحتى يلقى الإجابة ،وهذا هو ديدن الشعوب في كل المعمورة،حيث يراعي الراوي أنواعا من المتلقين حتى يمرر رسائله سواء كانت ظرفية حينية ومستقبلية، ومن هذه الأنواع الحكاية الشعبية التي تحتضن وتختزل أشكال التراث الشعبي،فماهي الحكاية وماهي خدمتها التي تهديها للأنتروبولوجي؟

الحكاية الشعبية المادة الخام للأشكال الشعبية

«إن الحكاية الشعبية موجودة وجودا فعليا في كل عمل من أعمال الإنسان سواء أكان هذا العمل شعرا أم قصة أو بناء بيت أم صنع تمثال،فالبيوت مثلا تحوي في تطورها التاريخي حكاية نموها البنائي .فمنذ أنبدأ الإنسان يفكر بها كحاجة،حتى يومنا هذا،حيث أصبحت فينا كفعل ملازم لوجودنا،تحمل في تراكيبها وإنشاءاتها وطرق بنائها حكاية تطورها ومثل هذه الحكاية لا تروي كلاما ولا تقال شفاها،وإنمالها مفرداتها التجسيدية الخاصة التي تختلف بنائيا عنالمفرداتالتي يقوم عليها نص وقطعة موسيق» (نبيلة إبراهيم، دار الكتاب العربي, 1974ص 210)

هنا تبرز تلك العلاقة الكائنة بين الأنثروبولوجيا والحكاية الشعبية،حيث تصور الحكايةكل الآراء البشرية الناجمة عن عدم استقرار الإنسان ولا رضاه لما يتعرض له من معاناة قاسية،وظلم ومشاكل عويصة تمس جميع

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ميادين حياته فتصورها كما هي في الواقع الممزوج بالخيال مجسدة ذلك التعسف الذي يمارسه السلاطين على شعوبهم، وذلك الحرمان الذي يكابده الفقراء بمجتمعاتهم المزرية ...

فمن خلال هذه التجسيدات تجد الشعوب متنفسا لتفريغ ذلك الكبت المحتقن بصدورهم،وبهذا فإن الحكاية الشعبية ذات قيمة كبيرة وجزءلايتجزأ من منظومتنا الثقافية ووسيلة تسلية ترفه،وتفيد وتعلم،من خلال مضامينها المتراوحة بين المنطق واللامنطق،والحقيقة والخيال،والوقائع والخوارق وبين القبح والجمال . فغالبا ما تبدأ مضامينها باللاتوازن وصولا إلى استخلاص مغزى عميق في النهاية يعبر عن فلسفة الحياة « فالحكاية الشعبية تحكم بناءها من أجل الوصول إلى فلسفة عميقة في الحياة، وهذه الفلسفة تتميز بالغموض والوضوح معا، لأنها تعد صدى لتجاربنا التي نعيشها وهي تلكالتجارب التي تتميز بالتعقيد والغرابة »(كلود ليفي ستروس،ا بيروت 1990، ص298)

وتهتم بالتفاصيل بقدر ما تركز على طرح الأفكار الرئيسية التي تهم الإنسان كالانتصار، الحب، الزواج،الموت،ما بعد الموت فهذهالحمولة الفكرية والمعرفية التي حوتها هذه الحكايات والتياستطاعتأنتعكسحالالأمموالجماعاتالشعبية،وتؤرخلحياتهاوظروفهاالاجتماعيةوالسياسيةوالاقتصادية والحضارية.(عبد القادر بوشيبة ،ص142)

هذا التغيير الذي مس الحياة الإنسانيةعامة ما هو إلا تعبير عن نمو نمطية تفكير الأوساط الشعبية في أي مكان وزمان مهما تنوعت الثقافات،حيث« يعود تنوع الثقافات البشرية إلى ذلك التباعد الجغرافيوعلى الخصائص التي تمتاز بها بيئاتهم،وعلى جهلهم بسائر البشر الآخرين»(شريط سنوسي، وهران،2009،ص66.)

'بنت الخصّ' الجزائرية.. أميرة أفشلَت حصارا باللباس والغنم ...

الحكاية الشعبية هي " أحدوثة يسردها راوي في جماعة من المتلقين،وهو يحفظها مشافهة عن رواية أخرى ،ولكن يؤديها بلغته،غير مقيد بألفاظ الحكاية،وإن كان يتقيد بشخصياتها وحوادثها ومجمل بنائها العام قديمه وحديثه" (أحمد زياد محبك، سوريا 2001)ص 16-17

هذا يعني أن الحكاية الشعبية مأخوذة من الواقع المعيشي،أو بتعبير آخر هي عبارة عن أفكارومعتقدات مجتمعمعين،وهي في النهاية إلا تعبير عما يؤمن به أفراد المجتمع،والراوي عادةلا يتقيد بطريقة الحكي وألفاظه،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لأن لكل راوي طريقته الخاصة في حكي الحكاية،ولكنه يظل يحتفظ بشخصيات الحكاية وترتيب أحداثها. وشخصيات الحكاية تكون واضحة محددة، وفي الأغلب شخصيات نمطية، تتحدد بموقفها في الأسرة، أو بمكانتها في المجتمع،كالأب والابنوالزوج والكنهوالحماة، أو كالملك والوزير والتاجر، والسياق والخادم والفقير،ولا توصف الشخصيات ولا تتحدد ملامحها الجسمانية النفسية،إلا إذا كان فيها عيب،عور أوعوج أو، أو بخل أو جبن أو خبل، وغالباً ما يكتفي بصفة واحدة، تتحدد بها الشخصيات،أي أن الشخصيات متصلة دائما بالواقع،فلا تخرج الحكاية الشعبية عن إطار المجتمع،لأن الحكاية الشعبية تحمل ثقافة شعب بأكمله،فهي مرجع يمكن أن نعرف من خلاله ماذا كان الإنسان يفكر قديما،كيف كان ينظر إلىالأمور والأشياء؟ وكيف كان يعالج المشاكل ويحلها؟ على ماذا يعتمد في عيشته ؟ كيفكان ينظر إلىنقطة هامة وحساسة؟ وكيف كان ينظر إلىالمرأة ؟ المرأة مخلوق ضعيف حساس،مخلوق يجعل حياة الرجل جميلة،ولكن قد تكون لها قوة داخلية تكسبها القدرة على التحمل،فالمجتمع الجزائري في الماضي كغيره من الشعوب ينظر الحكاية الشعبية الجزائرية مليئة بصور عديدة للمرأة،فتكون الأخت المحافظة على شرف العائلة،والابنةالتي تتقيد بتقاليد المجتمع،والزوجة الشريرة التي تفعلأي شيء لإرضاء غرورها وأنانيتها،والأم التي تكون المثل الأعلى للأولاد، وأمثلةهذه الحكايات كثيرة، فلا تخلو حكاية من وجود المر أة،فالمرأة هي التي تعطي مسارات واحتمالات كثيرة.

يعد قصر الأميرة مباركة بنت الخص ، تراثا وطنيا في الجزائر، إلى جانب قصور أخرى. وقد أخذ هذا القصر اسمه من أميرة ورثت السلطة عن والدها المريض، وحكمت المنطقة في وقت لم تكن المرأة تحلم بهذه المكانة!

الأميرة الحكيمة:

حكمت الأميرة مباركة بنت الخص بين القرنين 14 والـ15م، ونُسب القصر لها نظرا لشخصيتها وللطريقة التي حكمت بها قومها.

يقول الكاتب الفرنسي روني باسيت في كتابه La légende de Bent El Khass هذه هند بنت الخص (أو هند بنت خوص). لم تكن حالة المرأة بين القبائل العربية قبل الإسلام بأي حال من الأحوال كما كانت في وقت لاحق ، عندما كانت حياة الحريم قد تراجعت تمامًا عن العادات. كان للجزيرة العربية القديمة أربعة حكماء. كان هؤلاء الحكماء الأربعة من النساء. هند هي الأكثر شهرة ، رغم أننا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لا نعرف القرن الذي عاشت فيه ولا البلد الذي كانت منه. تشكل السمات المتعلقة بهذه المرأة الموهوبة نوعًا من الأسطورة الشعبية التي يتم فيها الاحتفاء ببصيرتها ، ودقة الحاضرين ، والسرعة واليقين في حكمها على الأشياء والرجال " .امتد بصره إلى حدود الأفق. وبنظرة واحدة ، احتضنت مشهدًا بأدق تفاصيله(روني باسيت في كتابه " La légende de Bent El Khass)، – تشرحجوديثجوتييه– .يُذكر أن هند كانت ذات يوم تجلس وسط مجموعة من الفتيات الصغيرات ؛ كانت تلعب مع حمامة منزلية تطفو على قبضتها. فجأة مر قطيع من الحمام عالياً في السماء. نظرت إلى الأعلى وقالت ، "أوه ، إذا تمت إضافة هذه الحمام ونصف عددها فقط إلى الحمام الخاص بنا ، فسيكون ذلك كافيًا للحصول على 10" . رأينا هذه الطيور وهي تبحث عن الماء تنزل بالقرب من بركة، اعتمدنا عليهم وتبين أنهم كانوا 66، الآن100=1+2/66+66 ، العدد الذي قالته ، لا أكثر ولا أقل ؛ كانت تكفيه نظرة واحدة ليتخيل هذا اللغز. لم يكن عقلها أقل سرعة من نظرتها ، وأجابت دون تردد على أي أسئلة يمكن طرحها عليها. سألها والدها ذات مرة :هل الليالي أكثر من النهار؟ – النهار أكثر من الليالي. – و لماذا ؟ – لأن ليالي القمر مثل النهار . " كما تم الاستشهاد بتكرار آخر مذهل لها : "من هو أفضل رجل؟ – الأكثر زيارة ، حيث [أفضل] التلال في بلد ما هي الأكثر تعرضًا للدوس. – من هو ؟ – هو الذي يسأله ولا يسأل ، ومن يكرّم الضيافة ولا يقبلها ، ويعيد السلام ولا يُفرض عليه. – من هو أسوأ الرجال؟ – الرجل العديم اللحية الثرثار الذي يحمل سوطًا صغيرًا ويقول: "ابعدوني عن عبد بينو كذا ، لأني سأقتله أو سيقتلني ."يبدو أنها لم ترغب في عقد الزواج وأنها كانت تبحث عن المتعة خارج الزواج الشرعي. تفاجأت بعبد أسود ، أعطت عذرًا هذا الرد النثري المقفى ، والذي أصبح قولًا مأثورًا " :هذا بسبب قرب الوسادة وطول الظلام"."ضُربُ الوَهد والسويد "

إن الأميرة مباركة بنت الخص "لقيت بادئ الأمر رفضا من رجال قومها كونها امرأة غير أنهم رضوا بحكمها بعدما رأوا حكمتها، لقد كانت فتاة بدوية فطنة جدا تميّزت بالشهامة والحكمة، تركت خلفها العديد من الأقوال والأمثال".

روني باسيتRené Passetينقل بعض أقوال الأميرة مباركة، بالدارجة الجزائرية، ومنها:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قالت ثلاثة يصفّروا الوجه وثلاثة يحمّروا الوجه؛ قال لها أمَا هما الثلاثة اللي يصفروا الوجه، قالت له: مشية الحفا ورقود القفا والمرأة التالفة.

قال لها أمَا هما الثلاثة اللي يحمّروا الوجه، قالت له: اللي يعرف النسب والي يعرف بنات النسب والي يقنع بالنصيب اللي يكسب.

ومن أقوالها أيضا:

بكّر لحاجتك تقضيها

واصّنّت ما يقول الفال

بنتك قبل الصوم اعطيها

لا يخلق فيها قولة قال

منذ صغرها احتكت مباركة بوالدها فتعلمت منه كيف تدار الأمور وتُدبّر، فورثت منه الحكمة والفطنة، حتى صارت الأميرةَ الذكية التي يتنافس الملوك للفوز بها.

امتدت الإمارة، التي حكمتها بنت الخص، من منطقة ربوات شمالا إلى مدينة المنيعة جنوبا، وشرقا إلى منطقة العمور وغربا إلى حدود الوادي الغربي مع حدود إقليم توات.(المصدر: أصوات مغاربية)

(الحصار و خطة بنت الخص)

خطب السلطان لكحل خادم– أبو الحسن المريني –الأميرة مباركة بنت الخص لكنها رفضته، لعلمها بأطماعه في إمارتها، وردّا على هذا حاصر قلعتها الموجودة في ناحية بريزينة.

لم ترضخ بنت الخص للحصار، وكان لها من الطعام والشراب ما يكفي أهل المدينة لمدة عامين، صمدت الأميرة وقومها في وجه الحصار لكن مع مرور الوقت بدأت المؤونة تنفذ فخاف الناس، وهنا ظهرت حكمة الأميرة مباركة وذكاؤها الوقاد.

وفق خطة مُحكمة، أعطت الأميرة ما بقي من القمح للغنم وغسلت الملابس والأفرشة بمخزون الماء المتبقي ونشرتها على أسوار القلعة، وكل هذا على مرأى السلطان وجنده، وعندما خرجت الغنم من القلعة تلقّفها الجنود وذبحوا بعضها ليأكلوه فوجدوا أمعاءها مليئة بالقمح فعلموا أن الحصار لن ينته لأنّ لدى أهل القلعة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

من الغذاء ما يكفيهم لسنوات ماداموا يطعمون منه ماشيتهم، وعندما رأوا الملابس والأفرشة على الأسوار قالوا إن ماء القلعة لا ينضب.

أدرك السلطان أنه أضاع أكثر من عام في حصار لا فائدة منه، فعاد بجر أذيال الخيبة إلى إمارته.

أثّر الحصار كثيرا على بنت الخص وقومها فغادروا بريزينة إلى المنيعة، وهناك بنو قصرا جديدا لا يزال ماثلا للعيان يروي سيرة الأميرة البدوية الحكيمة، وهو المعروف اليوم بـ"قصر بنت الخص"، وقد وردت هذه القصة في كتاب روبي باسيت المذكور آنفا.

المقاربةالانثروبولوجية في هذه الحكاية:

تمثل الحكاية الشعبية حقلا واسعًا للدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجيا، وهذا ما أجمع عليه جّل الدارسين في التراث الشعبي، فقد أكدّوا على ارتباط الأنثروبولوجيا الثقافية والأنثروبولوجيا الاجتماعية والأثنوجرافيا بالفولكلور، إلى جانب تأثير الأنثروبولوجيا اللغوية في النماذج الخاصة بالتعبير الشفاهي كحكايات الشعوب والأساطير نظرا لتأثرها بالكلمات والعبارات.(فاروق، أحمد مصطفى ، الإسكندرية، 2008)ص17

ولذلك تعدّ هذه المقاربة انتقالا معرفيا مهمّا من الأدبي إلى الاجتماعي، يأخذ بعين الاعتبار الفاعلين في إنتاج القيّم وإعادة إنتاجها وترسيخ السلوكات التي تنسجم والمخيال الشعبي. ارتكزنا في دراستنا هاته على المقاربة الأنثروبولوجية؛ ولأنّنا أمام جنس من أهّم الأجناس التعبيرية الشعبية، ولابد من الكشف عن المعنى الذي يحمله من خلال القِيّم والسلوكات التي تتضمنها الحكاية الشعبية، كما أتاح لنا هذا المنهج أيضا القيام بعملية الجمع والتصنيف.

فالحكاية الشعبية يميّزها الطابع الشفوي، إلى جانب مخطوطات بعض الحكايات الشعبية المدونة الخاصة بمنطقة الغرب الجزائري، أهمّها مخطوط لمحمد بلحلفاوي من وهران يحتوي على أربع عشرة حكاية، إضافة إلى مجموعة أخرى تحتوي على عشرين حكاية للباحثتين مهاجيرحمونة . (واضح عائشة تلمسان.2005)ص22

مع الإشارة إلى بعض الحكايات الشعبية التي استعنا بها في دراستنا جمعها فريق بحث تحت إشراف عبد الرحمان بوزيدة. في الكتاب "قاموس الأساطير الجزائرية" واستطعنا بذلك أن نكوّن متنا لثلاث وثلاثين حكاية شعبية خاصة بمنطقة الغرب الجزائري لتكون موضوعاً الدراسة.(عبد الرحمان، بوزيدة، (2005)ص23

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية

تناول في هذا القسم عن البناء الاجتماعي للحكاية الشعبية وأنظمته التي تعكس لنا دور العلاقات الإنسانية والاجتماعية التي تتفاعل فيما بينها نتيجة التعاون الاجتماعي والترابط الأسري والتقارب العائلي، ومن أهّم هاته العلاقات الموجودة في الحكاية علاقات تُبنى على أساس الزواج أو الصداقة، وهي علاقات وديّة نجدها داخل الأسر، والعلاقات القرابية، وعلاقات المصلحة التي تنشأ خارج هذا النسيج تتمثل في العلاقات الاقتصادية والسياسية.

يظهر لنا للوهلة الأولى بجلاء من خلال مجموعتنا الحكائية أهّم السلوكات التي ترتبط بالحياة الاجتماعية والأسرية كالزواج والعلاقات الأسرية والقرابية؛ فمن الواضح أنّ الزواج في الحكاية الشعبية هو من أهّم أسس الحياة لما له من أهمية بين أفراد المجتمع، ولهذا غطت الحكاية الشعبية نماذج عديدة للزواج كالزواج الحر أو الاختياري وما نجم عنه من اضطرابات أسرية في حكاية "لُونْجَة مُولاَة سَبْعْ سْوَالِفْ"، أمّا في حكاية "حَدْ الزِينْ" وحكاية "خْنِيفْسَة لالَة النْسَا" وحكاية "هَارُونْ الرَشِيدْ" فيجري التأكيد على ضرورة "الزواج" لما له من أهميّة في الحياة الإنسانية.

ومن الواضح في الحكاية الشعبية أنّ النسق القرابي لا ينتهي عند حدود الأسرة الواحدة بل يمتدّ إلى ما هو أبعد، فيشمل فئات اجتماعية أخرى كما في حكاية "غَانِمْ ولْدْ الرَاعِي"التي تحدثنا فيها عن اختيار بطل الحكاية "غانم" لزوجة له من قرية أخرى، مخالفا بذلك تقاليد عشيرته المتعارف عليها.

كما تعكس لنا الحكايات الشعبية – في أغلب الأحيان– تفاصيل عن تآلف المجموعة الأسريّة التي تتكون من زوج وزوجة وأولاد وتماسكها، كحكاية "بَقْرَة لِيتَامَى"التي تشير إلى تلاحم أفراد الأسرة الواحدة؛ إلا أن هذه العلاقة لا تستمرّ في بعض الحكايات الأخرى، كمحاولة الأخ قتل أخيه، أو الأخت قتل أختها وأمها في حكاية "خْرِيصْ وبُوخْرِيصَة"، وفي حكاية "عَيْنْ الزَعفَرانْ"، ومحاولة الأب قتل ابنه في حكاية "المكتوب"، إلى جانب صراعات الغيرة بين الإخوة والأخوات كحكاية "هَارُونْ الرَشِيدْ"، وحكاية "عَيْنْ الزَعفَرانْ"،كما تحدثنا في حكاية "بَقْرِة لِيتَامَى" عن بعض سلوكات المرأة التي لم تنجب **"الولد"** ممّا أدى بها إلى محاولة التخلّص من ابن زوجها، وهذا ما يدعو إلى نشوب نزاع وتفكّك أسري يصاحبهما بعض السلوكات العنيفة التي تشدّ السامع إليها كالقتل والذبح وبتر الأعضاء والتعذيب...

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

نستطيع أن نرى بوضوح أيضًا داخل هذا النسيج الاجتماعي للحكاية ذلك المجتمع الفردي الذي اعتمد نظاما اقتصاديا واجتماعيا بسيطا بساطة حياته الملتصقة بالأرض والطبيعة، معتمدا على جهده في الرعي والصيد والفلاحة، وهذا ما أنتج سلوكات تتغيّر من فترة إلى أخرى بتغير الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلاقات الإنتاجية بين الأفراد. ولهذا استعملت الحكاية الشعبية سلوكات "رمزية" من أجل التعبير عن مواقفها اتجاه الظروف الاجتماعية والاقتصادية، خاصة تلك العلاقات بين الفلاح المقهور وأسياد الملك لتختزل ذلك الصراع في رمزين متناقضين هما "الذئب المتسلّط والقنفذ المتسامح". والملاحظ هنا أن "الإنسان انفرد عن جميع المخلوقات بالسلوك الرمزي وبالقدرة على استعمال الرموز والتعامل بها، وأن الرمز بتعبير آخر هو الذي يُحول الإنسان من مجرد حيوان فحسب إلى حيوان آدمي"(ديبشعبو، أحمد 2006، ص. 37.) اعتمدت الحكاية أيضاً على سلوكات الشراكة في العمل الفلاحي كحكاية "الذئب والثعلب" اللذين اشتركا في إنتاج محصول القمح، وحكاية "الذئب والقنفذ "في اشتراكهما في إنتاج "البطيخ"، وحكاية "الحيلة والنيّة" في اشتراكهما في فلاحة القمح واللفت". فالحياة الواقعية قائمة على مثل هذا التعاون؛ إذ يشترك الإنسان والحيوان في كل ما يتصل بالزراعة من أمور، ومن هنا كان للحيوان دوره المهم في الحياة والمجتمع ممّا يظهر في كثير من الحكايات الشعبية،يجعل حياة الرجل جميلة، المرأة مخلوق ضعيف حساس ولكن قد تكون لها قوة داخلية تكسبها القدرة على التحمل،فالمجتمع الجزائري في الماضي كغيره من الشعوب ينظرنظرة على أساس أنهاإنسان يجب الحرص عليه والخوف منه،فالحكاية الشعبية الجزائرية مليئة بصور عديدة للمرأة، لها أدوار عديدة، بشخصيات المجتمع فتكون والابنة و الأخت المحافظة على شرف العائلة،فهيالتي تتقيد بتقاليد المجتمع،والزوجة الشريرة التي تفعل أي شيء لإرضاء غرورها وأنانيتها،،،للأولادالأم التي تكون المثل الأعلى، ونراها تقدم أمثلةهذه الحكايات كثيرة، فلا تخلو حكاية من وجود المر أة،فالمرأة هي مصدر تعطي مسارات واحتمالات كثيرة.

المستوى الأثنوغرافي :

والذي نلمح فيه مجتمعاً مستقرا بذاته تأخذ المرأة بزمام المبادرة(بنت الخص–يترتب الزواج منها عن انتهاك النظام الاجتماعيوتحطيم علاقات القرابة، وهي مايميز مجتمعاً إنسانياً عن جماعات الحيوانات لأن الحيوانات لا يوجد لديها نظام قرابة ولهذا المجتمع الإنساني يتميز بوجود علاقات القرابة، غير أن اللافت للانتباهأن يطرأهذا النظام على كل أفراد المجتمع.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المستوى الأثنولوجي :ونلمح في هذه الحكاية ثقافة منفتحةعلى الثقافات الإنسانية الأخرى ، فهذه الحكاية المدروسة تمثل ظاهرة ثقافية، عبرت في مراحل إنتاجها وتداولها على مجموعة من العلاقات الاجتماعيةوالوظائف المنوطة بها، وقد تركزت حول "الأنوثة" في تجلياتها المختلفة، كموضوع قيمة وكمصدر لتجديد الحياة، وكنواة للأسرة، والوحدة الأساسية في المجتمع لذلك كله وقدمت الحكاية المرأة في تجليها الأنثوي المندمج في مظاهر الطبيعة منذ الموقف الافتتاحي للحكاية المروية، ثم أشعرتنا بوجود تضاد بين هذا الجوهر الأنثوي المنضوي في الكون الطبيعي والنظام الاجتماعي ذي الطبيعة الثقافية، الذي يمثل الهدف الأسمى الذي يسعى إليه مسار الحكاية.(احمد علي مرسي ، القاهرة(2008).) ص113

المستوى الأنثروبولوجي :

ونلمح في انطلاق هذه الحكاية البداية من حافز الزواج كبداية لها رونقحيث هذه الحكاية تبدأ بانتهاكهذا الطلب بالرفض للزواج من الأمير لكحل والذي يجلب للقبيلة الحرب والفناء باعتبار صاحب الطلب قوي وظالم وهو مايقوض نظام الأسرة برمته وعلاقاته القرابية،وفي هذه الحكاية تأخذ البطلة منذ البداية موقفاً عدائياً من رجال القبيلة، وتعتبرهم جميعاً متورطين في قضية الزواج الذي كان سيفرض عليها،وتقمن النسوة بدور البطولة في مساندة الأميرة حتى تنفذ خطتها بنجاح،وفي سبيل هذا الهدف وجدت فاعلين مساعدين وفاعلين معارضينوبسبب هذا التمرد نجد أن عوائق كثيرة اعترضت طريقها من مثل عدم وجود الماء فهوأساس الحياة:إن أهمية الماء هذه جعلته يكتسي طابعا خاصا في الموروث الشعبي، ويتجلى ذلك في ضرورة وجوده والدعوة إلى حسن استغلاله ومدحه، واستعمال كل الوسائل للحصول عليه، ويظهر ذلك في الممارسات اليومية لسكان مناطق القصور بالجنوب الغربي الجزائري عند قبائل الطرافي وأولاد سيد الشيخ وحميان والعمور والقصوريون وغيرهم. كما تتضح في بعض معتقداتهم في الحكايات الشعبية والأمثال والحكم وحتى في الأدعية.

ومن الأمثال الشعبية: "أَرْفَدْ الْمَا، ولُوكَانْ تحُطْ عْلَى الما" و "ما تَمْرَقْ مَا، حتى تْصيبْ مَا" وهي دعوة للتقليل من استهلاك الماء والاحتياط اللازم لذلك.

وعن ضرورة وجوده صحبة الطعام يرد المثل القائل: "الطْعَامْ بْلاَ مَا، مَنْ قَلَّة الْفْهَامَة"، فكمال الغذاء لا يتم إلا بوجود الماء. و "الْمَا والأعْوَادْ، والقُوتْ عْلَى الْجَوادْ" و "كَسَّرْتِي وْمَايَا، وَلاحْديثْقْفَايَا".

ومن أدعية الخير التي تعترف بقيمة الماء ما يلي: "الله يَّعَجْلَكْ كِي الْمَا، تَخْرُجْ مَنَّكْ كُلْ نَعْمَة".

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وبما أن المجتمع المحلي مجتمع مسلم، فإن الدين يمثل لديه أحد الأنساق الهامة في الثقافة، وإليه يُعزى تكامل الثقافة وتجانسها. ولهذا فإن قيم الناس ومعتقداتهم تعود إلى أصول دينية، ولكن مسألة الدين لدى العامة تظل شعبية في كل مظاهرها، علاقته ضعيفة بالتأويل النصي المكتوب.

ولهذا فإن الماء مطهر للشخص من الكفر والنجاسة والأدران، فوجب استعماله وعدم االتكاسل عن أداء الفروض الدينية بحجة ندرة الماء لأن "الْمَا ءْلاَ شْرَا، وَالْقَبْلَة ءْلاَ كْرَا".

ويستخدم الماء في النظافة الشخصية كما يستخدم في شعائر الطهارة الدينية بأشكالها ومناسباتها المختلفة، كما هو الحال في الوضوء الذي يسبق الصلاة، أو للتخلص والتطهر من دنس الحالات الاستثنائية العارضة (الجنابة – الحيض) أو غسل الميت المقبل على المحاسبة في القبر. "فالماء إذن هو الذي يرد الفرد من ذلك الوضع الاستثنائي إلى الحياة العادية، أي أنه يرده إلى المجتمع، وبذلك يعود التوازن إلى العلاقات التي تربطه بالآخرين"(أبو زيد، أحمد : 1999)ص16

و نجدالجبل من الجانب الطبيعي ساعدهافي النجاحلتثبت وجودها المعنوي والمادي لدى القبيلة ،وهي رمز للمرأة القوية وهذا منذ القديم،وهوالمعلوم أن علماء الانثروبولوجيا أوعلى الأقل بعض منهم يقولون إن المرأة هي التي اكتشفت الزراعة وهي التي اكتشفت حياة الاستقرار وهي التي تنتج النسل ولذلك أولتها المجتمعات البدائية أهميةخاصة فكان يعتقد انها إلهةً

عند بعض الشعوب نذكر على سبيل المثال "عشتار*" عندالسومريين والبابلين كما نجد عند عرب الجاهلية اللاتوالعزى ومناة *. فالمحال استعادة المرأة للنظام الأموسي لكن هذا لا يمنع "مباركة بنت الخص" من النضالفي الحفاظ على النظام الاجتماعي —غلبت القبيلة وبقاءها– الذي بفضله يتميز الإنسانعن سائر الحيوانات والذي نجده في جميع المجتمعات البشرية مهما كانت درجتها في البدائية أو في التطور .

نستنتج أن للمرأة أثراً في الفكر الإنساني منذ العصور القديمة ، وقد ارتبطت منذ تلك العصور بمكانة خاصة في النفوس، فنظروا إليها نظرة الإعجاب لدرجة التقديس التيتحمل بين ثناياها معاني العبودية والألوهية . * تعد المرأة نموذجاً إنسانياً أكثر من كونها فردًا يطرح همومه الشخصية، فالقضايا التي تطرحها هي قضايا جمعية، فهي تطرح قضية الأب الذي يحافظ على استمرار الجنس البشري والانتصار القبلي التي تجعل والديها فخورين بها، والزوجة التي يتقلب مزاجها بين امرأة حنونة وأخرى شريرة، وهنا تظهر الثنائية الضدية التي يفرضها الواقع المتأزم–مرض والدها وغياب الأم– الذي تعيشه قبيلتها، فالأم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

– غائبة بفعل الراوي–والأم تنسى أو بالأحرى تتغاضى عن الأخطاء التي يرتكبها أبناؤها، فالأميرةقد تفعل أي شيء لتحصل على ما تريد،رفظتالزواج،وتولتالإمارة على الرغم من البنية المرفولوجية لها كمرأة فهي وجدت لتعيش لأنوثتها :هي الحنونة والعطوفة زيادة على تميزت به من الصفات الجسدية والمعنوية، كالجمال والشجاعة والحب.

ظهور الكثير من الموتيفات الواردة في الحكاية الشعبية، تحتوي على أبعاد أسطورية مغرقة في القدم. الماء دليل الخصب والجبل دليل المنعة.

حاولنا أن نبين من خلال حكاية "بنت الخص"، مكانة المرأة في الحكاية الشعبية وفي المجتمع عامة وكيف كان ينظر لها الشعب من خلال إظهار الصور والصفات والدور الذي قامت به في إنقاذ المملكة. أعطت الأميرة ما بقي من القمح للغنم وغسلت الملابس والأفرشة بمخزون الماء المتبقي ونشرتها على أسوار القلعة، وكل هذا على مرأى السلطان وجنده، وعندما خرجت الغنم من القلعة تلقّفها الجنود وذبحوا بعضها ليأكلوه فوجدوا أمعاءها مليئة بالقمح فعلموا أن الحصار لن ينته لأنّ لدى أهل القلعة من الغذاء ما يكفيهم لسنوات ماداموا يطعمون منه ماشيتهم، وعندما رأوا الملابس والأفرشة على الأسوار قالوا إن ماء القلعة لا ينضب.أدرك السلطان أنه أضاع أكثر من عام في حصار لا فائدة منه، فعاد يجر أذيال الخيبة إلى إمارته، والحكاية أفصحت لنا عن نظرة المجتمع للمرأة، لأنها كانتنموذجاً من النماذج الكثيرة التي كان موضوعها المرأة ، وقد مكننا التحليل الانثروبولوجي من الوقوف عند الذوات الفاعلة التي تحفل بها الحكاية، ورصد العلائق التي تربط بينها والكشف عن مسارها في البحث عن المواضيع الثمينة . تشخص هذه الحكاية بمكوناتها وعلائقها وأبعادها القيمية تمثل مؤسسة المجتمع التي يجسدها الأب من خلال رؤيته للمرأة كذات يتحقق وجودها دائما عن طريق الاندماج داخلاآخر . والحكاية هي الموروث الثقافي الذي يعبر عن الأفكار لمجتمع من المجتمعات، لذا فإن هذه الحكاية التي بين أيدينا، بماثبة صورة لما كان يؤمن به المجتمع الشعبي، وما كان يراه عندما ينظر إلى المرأة، وهي خلفيتهُ المعرفية .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المصادر و المراجع:

* القرآن الكريم

1 ابن منظور لسان العرب ط. دار المعارف،/،م14-2007

2 أبو زيد،أحمد : الماء والبناء الاجتماعي ومفهوم الزمن.- المجلة العربية للثقافة، العدد 36، مارس 1999.

3 أحمد زياد محيك،دراسات نقدية : من الأسطورة الى القصة القصيرة، ط 1منشورات دار علاء الدين، سوريا. 1 200/

4 أحمد علي مرسى، الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، دار مصر المحروسة، القاهرة(2008) - أحمد فاروق، مصطفى ،الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دراسة ميدانية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية2008.

5 جريدة الوطن- بوابة إلكترونية شامله-،د صلاح البلك- مقال في 2020/10/20-

6 ديب شعبو، أحمد في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب، الطبعة الأولى2006.

7 شريط سنوسي،بطل الحكاية الشعبية في المسرح المغاربي (بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه)، وهران،2008،2009.

8 صحيح ابن ماجه خلاصة حكم المحدث صحيح ، الراوي يزيد بن شيبان ،المحدث الألباني. مركز آثار ادلب ... مكتب التراث الشعبي سوريا

9 عبد الرحمان، بوزيدة، قاموس الأساطير الجزائرية، وهران، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية(2005)

10 مجلة الطليعة الأدبية، دار الجاحظ –العراق ، ع1979.

11مختار الصحاح طبعة المكتبة العصرية - الدار النموذجية - بيروت، ط 1999م

12 كلود ليفي ستروس *الإناسةالبنيانية* ،الأنثروبولوجياالبنيوية(القسمالثاني)،تر حسن قبيسي،مركز الإنماء القومي، دط، لبنان بيروت 1990..

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

13 لطفي الخوري، *معجم الأساطير*، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990

14 نبيلة إبراهيم،قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية،بيروت : دار العودةطرابلس : دار الكتاب العربي, 1974.

15 هارون سليمان يوسف كتاب الزغاوة تاريخ وتراث 2016

16 واضح عائشة القص الشعبي بمنطقة غليزان، رسالة ماجستير في الأدب الشعبي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.2005.

17 La poésie orale maghrébine d'expression populaire et la poésie arabe populaire de l'Algérie Edition. maspero, 197.

18Mehadji, R. (2005),Les images féminines dans les contes populaires algériens, thèse de doctorat, université d'Oran.